القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI

السنة الثامنة عشرة ـ العدد 5498 السبت/الاحد 4/3 شباط (فبراير) 2007 ـ 16/15 محرم 1428 هـ

AL-QUDS Al - Arabi Volume 18 - Issue 5498 Saturday/Sunday 3/4 February 2007

غرفة ترى الفرات

هواء طلق

عزت القمحاوي

الحرب التي انطلقت في العراق منذ أربع سنوات أو ست عشرة سنة (إذا ما أخذنا في الحسبان حرب الخليج الأولى) انتهت إلى ما نراه الآن: هزيمة الطرفين. لكننا تعلمنا أن أكثر الحروب تكافؤاً لابد أن تنتهي بانتصار طرف ما.

وأظن أن الطرف الذي انتصر في العراق هو الصورة.

هذا ليس مجازاً لغوياً، لكنه واقع حقيقي. المصورون التليفزيونيون كانوا طرفاً أصيلاً في الحرب. بدليل ستراتهم الواقية وخوذاتهم، وبدليل سقوط الضحايا من بينهم. هم قناصة حقيقيون يطلقون بدلاً من النيران كاميراتهم، ولا يمكن لنا أن نتصور مصوراً يضحي بتصوير لحظة قتل طفل، ويحاول بدلاً من ذلك أن ينقذه.

وأخطر ما في الصورة أنها تخلق وهماً بالمعرفة. وتجعل المتلقي أقل استعداداً لاستقبال المعرفة الحقيقية، فإذا قلت إن هناك كتاباً يقدم حكايات العراق المجهول تحت الحرب، ستجد من يرد من دون تفكير: وهل لايزال هناك بالعراق ما نجهله؟

مثل هذا التساؤل عن جدوى القراءة نصادفه كثيراً خصوصاً فيما يتعلق بوقائع شهيرة على المستوى التليفزيوني. وهذا دليل قوي على أن الصورة هي الطرف المنتصر. انتصار يراه البعض نهائياً وحاسماً مثلما رأى منظرو اليمين الأمريكي انتصار الليبرالية نهائياً وحاسماً.

وقد دفعت الشعوب المنتصرة والمهزومة الملايين من الأرواح وسنوات طويلة من الشقاء نتيجة الانتصارات الحاسمة التي تجعل المنتصر يملي كل شروطه على مهزوم لايلبث أن يقوم ويستعد للقصاص.

* * *

والانتصار النهائي للصورة، خطر على روح الإنسانية مثلما هو خطر على العين كحاسة لم تعد عرفانية أو قادرة على فهم ما تراه كما في السابق، على حد قول ريجيس دوبريه. من هنا تأتي أهمية المقاومة بالكلمة كوسيط مختلف يغذي ملكة التأمل، ويعيد تثبيت التاريخ، الذي يسعى تتابع الصور إلى محوه.

وإذا كانت البشرية تبتكر حلولها من أجل البقاء، فربما كان ازدهار «الريبورتاج الأدبي» في السنوات الأخيرة أحد الحلول التي ابتكرتها الإنسانية من أجل مقاومة توحش الصورة. وأصبح الريبورتاج فناً قائماً بذاته ترصد له الجوائز.

وإلى هذا النوع من الكتابة ينتمي كتاب جديد أصدرته دار آفاق بالقاهرة تحت عنوان «غرفة علي بابا..حكايات العراق المجهول» للكاتب الإيطالي فاليريو بيللزاري، صاحب الخبرة الواسعة بالعراق وبالعديد من مناطق الحروب، من الهند الصينية إلى البلقان.

الكتاب الذي ترجمه أمير سلامة أقرب إلى الأدب منه إلى الصحافة. والعنوان الذي اختاره المؤلف عنواناً للكتاب كله، هو موضوع الفصل الأول.

«غرفة علي بابا».. الاسم المشحون بكل ما تملكه ألف ليلة وليلة من دهشة، ليس مغارة علي بابا المليئة بالكنوز، بل ملجأ بائس تحت الأرض يحتشد فيه العراقيون عند القصف.

رعب الليالي الطويلة والجوع والإرهاق لايمكن لكاميرا أن تصوره، إلا إذا تفرغت لهذا الملجأ طوال الحرب كما في لعبة برامج الواقع. والكاميرا في الحروب غالية ولايمكن أن تتفرغ لملجأ مهمل، بل يجب أن تواصل التقدم والقنص السريع، القلم وحده، يستطيع أن يمنح الغرفة خلودها في وعي القارئ.

وفاليريو بيللزاري لايمتلك سادية بوش أوصدام، ولذلك فهو لايحبس القارئ في تلك الغرفة وينساه بين ذلك الحشد من الخائفين، لكنه يتحرك بين الملجأ ومحيطه، وينتقل من أحزان الغرفة المظلمة التي لا يراها العالم إلى سير المعارك بين قاذفات القنابل غير المرئية في مواجهة الحجاب الدخاني الذي اصطنعه صدام لحجب بغداد بأكثر الوسائل بدائية.

* * *

بحس ساخر يأخذنا الكاتب من مأساة الغرفة إلى ملهاة المواجهة في الخارج، القائمة على أساس فبركة إعلامية سبقت الحرب. صدام بدأ يعطي تعليماته لجنوده باستراتيجيات للهجوم والانسحاب تشبه استراتيجيات حرب العصابات التي استخدمها الفيتناميون وأنصار جيفارا في جنوب أفريقيا، الأمر الذي لايوحي بأن هذا هو الطاغية الذي تمتلئ ترسانته بالأسلحة الكيمياوية.

ولم تكن المصادفة الساخرة فقط هي ما جعلت بيللزاري يستخدم اسم علي بابا في العنوان، لأننا سنرى فيما بعد أن الطرفين كانا يسميان بعضهما البعض بـ«لصوص الكنز».

وعند سرقة المتحف العراقي، لا يكتفي بللزاري برصد الوقائع أو نقل شهادات شهود العيان، لكنه يعيد التذكير بحوادث النهب المماثلة في فيتنام وفي أفغانستان، والبوسنة وأمريكا اللاتينية.

وهذا يجعل من «غرفة علي بابا» كتاباً ضد طبائع الاستعمار، ويضع حالة العراق في سياقها التاريخي. لا يصرخ بيللزاري بأن هذه الحرب غير عادلة، لكنه يجعلنا نفهم ذلك من خلال السرد العميق الذي يرتحل فيه عبر الجغرافيا والتاريخ والروايات الأدبية.

* * *

وقد نجح بيللزاري في أن يجعل من القراءة عن الحرب نوعاً من المتعة الفنية، من خلال حس المفارقة الذي يميز الكتابة الجيدة عادة: كانت وقائع غزو بغداد حرباً واحدة تجري في زمنين مختلفين، حيث يذيل صدام بياناته بالتاريخ الهجري، فكانت الحرب تجري في العام 1424 ويذيل الأمريكيون بياناتهم بالميلادي، فكانت حربهم تدور في 2003.

والحرب التي حول غبار قنابلها فروتي خروفين منعمين في احدى فيللات بغداد من اللون الأبيض إلى الأسود، هي نفسها الحرب التي حولت شعر الصحاف وزير الإعلام الفكه من الأسود إلى الأبيض، وكلنا رأينا مثل بيللزاري أول ظهور للصحاف على قناة أبو ظبي بشعره الأبيض، لكن بيللزاري رأى الخروفين، وصنع هذه المفارقة.

وعلى ذكر قناة أبوظبي ففاليريو يرصد أداء القنوات العربية في الحرب، وقد كان لها السبق والتفوق على القنوات الغربية. وهذا صحيح. لكننا لايمكن أن نكون متأكدين من نتائج هذا التفوق العربي، لأن مساوئ الصورة تكمن في التقنية ذاتها، أكثر مما تكمن في أيديولوجيتها.

البث المباشر ممسوس بالجديد والصادم ـ وهذه هي أيديولوجيته الكبرى التي تسبق أي انتماء آخر ـ ولهذا يمحو كل حدث الحدث الذي يسبقه. ويُنسى المبدأ كلياً، فلاتستطيع الكاميرا أن تُذكّر المشاهد كل يوم بأن هذه الحرب كانت غير ضرورية وغير عادلة.

لا تستطيع الكاميرا ـ التي لاتؤمن إلا بالمحسوس ـ أن توقف القنص لتوجه نظر المشاهد إلى النفط البطل الخفي الممنوع ذكره. ولكن الريبورتاج الأدبي يفعل ذلك، من خلال الكتابة الجيدة والرهيفة التي تبتعد عن الميلودراما أو ابتزاز مشاعر القارئ.

على عكس الكاميرا تبقى الجثث في هذا الكتاب بعيدة في خلفية المشهد، بينما يعتني الكاتب بموت الأشجار ومحاولات ما تبقى من النخيل للصمود.

وقد يجد القارىء نفسه مدفوعاً إلى الابتسام، وهو يتابع عبر سرد بيللزاري جهود مفتشي الأسلحة التي شملت تفتيش غرف الراهبات والقبور الملحقة بأحد الأديرة، والشك في الأرض المحروثة استعداداً لزرعها بالطماطم، ثم العثور أخيراً على برطمانات في مخزن الدير، ليكتشفوا في النهاية أنها ليست سوى خزين الدير من عرق البلح في مرحلة التخمير!

* * *

لم يقل لنا بيللزاري اكرهوا الحرب أو امقتوا بوش وصدام، لكنه تركنا نفعل ذلك من تلقاء أنفسنا، وهذه هي الفضيلة الكبرى لكل كتابة ذكية.

خطة سرية كشفتها الصحافة البريطانية:

تطعيم الأطفال بمصل ضد ادمان المخدرات والسجائر

لندن ـ «القدس العربي»:

أحدث وسيلة لمقاومة ظاهرة انتشار ادمان المخدرات والسجائر. هي نوع جديد من الطعوم توصل اليه فريق علمي بريطاني اطلق عليه «تي. أ. سي. دي». وكشفت بعض الصحف البريطانية امس خططا سرية وضعتها رئاسة الوزراء بهدف حقن الأطفال في سن الرضاعة بهذا المصل لوقف النفقات الهائلة التي تترتب على علاجات حالات الادمان على المخدرات والتي تصل الى 20 مليار جنيه استرليني سنويا.

ويعتمد المصل على معالجة كيميائية تجعل المخ لا يستجيب الى الرغبة في الادمان.

واعتمدت الخطة لجنة وزارية مكلفة من قبل رئيس الوزراء توني بلير بدراسة وسائل مكافحة الجريمة. وترى اللجنة ان الجرائم المرتبطة بتعاطي المخدرات يمكن ان تقل بدرجة ملحوظة لو نجح مخطط استخدام الطعام المقترح والذي سيحقن به الأطفال. بالاضافة الى توصل العلماء الى طعم آخر يقدم للكبار بهدف التخفيف من تأثير ادمان المخدرات على عقول المدمنين البالغين ويسمى «نالتيركسون».

ومن جانب آخر فقد ابدى وزراء الصحة والمجلس الطبي العام في بريطانيا اعتراضهم على استخدام الطعم المقترح. وكانت احصائيات صدرت من المركز الاوروبي لرصد حالات الادمان على المخدرات قد كشفت عن ان بريطانيا جاءت في قمة الدول الاوروبية التي تعاني من انتشار ادمان المخدرات. وكشفت ايضا عن ان نسبة تصل الى 10 % من المراهقين (11 ـ 15 عاما) يدخنون السجائر.

والطعم المقترح تطعيم الاطفال به سيحول ـ كما يرى العلماء ـ دون ادمان الانسان على المخدرات كالهيروين والكوكايين والسجائر (النيكوتين).

طفل يمني يتمتع بقدرات خارقة

صنعاء ـ قنا: استطاع طفل يمني لفت الانظار من خلال نبوغه المبكر في مجال الرياضيات والمعلومات العامة وقدرته على حل عمليات حسابية معقدة ذهنيا في ثوان قليلة.

وذكرت وكالة الانباء اليمنية ان الطفل منير محمد موسى الشعيبي (9 سنوات) يتمتع بقدرات خارقة ونادرة في الرياضيات وبخاصة الحساب الذهني للعمليات ذات الارقام الكبيرة بما فيها الضرب والجمع والطرح بسرعة قياسية. وقال والد الطفل منير ان مؤشرات نبوغه بدأت بالظهور في الثالثة من العمر عندما اكتشفت الاسرة مقدرته الفائقة على حفظ جدول الضرب الصغير بسرعة قياسية علاوة على قدرته في حفظ أرقام الهواتف وأية بيانات متعلقة بالارقام فضلا عن ثقافته الواسعة في أسماء عواصم دول العالم واسماء الله الحسنى الى موهبته في حفظ القرآن الكريم.

واوضح ان منير كان متفوقا في المدرسة منذ الصف الاول حيث كان يحرز المركز الاول في الفصل وهو الطالب الوحيد الذي لم يحدث ان نقصت علاماته درجة واحدة منذ بداية دراسته. واضاف والد الطفل ان ما يميز منير عن بقية الاطفال هو اهتمامه بالمعلومات العامة وبالعمليات الحسابية المعقدة وكثرة الاسئلة وفوق ذلك فهو يجيد التعامل مع الالعاب الالكترونية وعرفه زملاؤه الصغار بالقدرة على التعامل مع الالعاب الصعبة وقدرته على فتح رموزها.

وقد برز منير على مدى الاربعة اعوام الماضية كواحد من الاطفال النوابغ في العالم العربي وشارك في العديد من البرامج والمسابقات التلفزيونية العربية والمحلية كما شارك في العديد من مسابقات برامج الاطفال.

العجز الجنسي لدى الرجال مرتبط بقلة التمارين الرياضية

واشنطن ـ اف ب: افادت دراسة نشرت نتائجها حديثا في الولايات المتحدة ان العجز الجنسي مرتبط اساسا بقلة التمارين الرياضية وايضا بالسن وامراض شرايين القلب وداء السكري.

وكشف باحثون من معهد جون هوبكينز للطب في بالتيمور (ميريلاند شرق) ان الرجال الذين يعانون من العجز الجنسي لم يمارسوا الرياضة بشكل مكثف خلال الشهر الذي سبق بدء الدراسة. وفي المقابل، فان نصف الرجال العاجزين جنسيا تقريبا مصابون بداء السكري وحوالى 90 % يعانون من مخاطر التعرض لامراض في شرايين القلب.

وقال واضعو الدراسة التي نشرت في «اميريكان جورنال اوف ميدسين» في عددها الصادر في الاول من شباط/فبراير ان العجز الجنسي قد ينجم ايضا عن نسبة عالية من الكولسترول او عن التدخين.

وقالت المسؤولة الرئيسية عن الدراسة اليزابيث سيلفن ان «على الاطباء ان يولوا اهتماما كبيرا لمشاكل العجز الجنسي التي يعاني منها مرضاهم من الاعمار المتوسطة او الاكبر سنا وخصوصا بين الذين يعانون من السكري او ارتفاع الضغط».

واضافت ان «معالجة مشكلة العجز الجنسي قد تشكل حافزا قويا للرجال وعلى الاطباء استغلالها لحث المرضى على تناول وجبات غذائية صحية واعتماد نمط عيش سليم يحد من مخاطر الاصابة بالسكري او ارتفاع الضغط».

الشتاء مضر بالجلد كالصيف تماماً

■ بالتيمور ـ يو بي آي: يعاني حوالي 80 مليون أمريكي من الحكاك والجفاف وتقرحات الجلد بسبب البرد والهواء الجاف وارتفاع حرارة المنازل خلال الشتاء.

وقالت الدكتورة ربيكا كازين مساعدة استاذ الجلد ومدير مركز جونز هوبكنز للتجميل ان «الاضرار التي يسببها الشتاء للجلد لا تقل عن تلك التي يحدثها الصيف له».

ونصحت كازين باستعمال المراهم أو الـ«كريمات» المشتقة من الزيوت لترطيب الجلد بانتظام والاستعانة بالاجهزة الخاصة للتخفيف من الجفاف في المكتب والمنزل، وأخذ حمامات دافئة لوقت قصير، ودهن الجلد بهذه المواد عندما يكون الجسم رطباً.

كما حثت على غسل اليدين بشكل متكرر من أجل عدم الاصابة بالانفلونزا ونزلات البرد التي يمكن أن تنتقل من شخص الى آخر خلال هذا الوقت، واستخدام الصابون الذي يحتوي على مواد رطبة ومعقمة، والمراهم الخاصة بالوقاية من الشمس خصوصاً على الوجه واليدين لأن الثلج يعكس حوالي 80 % من أشعة الشمس على الانسان.

ونصحت الباحثة بتناول المأكولات التي تحتوي على الفراولة (فريز) والتوت والخوخ والاسماك التي فيها نسبة عالية من الاحماض الدهنية مثل السلمون والجوز وزيت الكانولا، واحتساء الشاي الأخضر بكميات كافية من أجل زيادة نسبة المواد الكيميائية المضادة للالتهابات خلال هذا الفصل.

جنيفر هادسون مرشحة لجائزة اوسكار

■ لوس أنجلس ـ يو بي آي: قالت الممثلة جنيفر هادسون التي نالت جائزة غولدن غلوب عن دورها في فيلم «فتيات الحلم» والمرشحة للفوز بجائزة الأوسكار عن الدور نفسه، انها تعرّضت للانتهاكات في برنامج «أمريكان أيدول» التلفزيوني. ونقلت مجلة «بيبول ماغازين» عن هادسون قولها في حديث مع مجلة «ايسو» انه في برنامج أميركان أيدول «تخضع لهذا النوع من الاضطهاد النفسي وعليك أن تعيد تجميع نفسك بعدها». وأضافت «تتعرض للانتهاك.. يساء توجيهك ويتم غسل دماغك لكي تؤمن بما يريدون».

وكانت هادسون التي رشحت للفوز بجائزة أوسكار عن فئة أفضل ممثلة في دور مساعد عن تجسيدها لشخصية أيفي في فيلم «فتيات أحلام» قد فازت بجائزة الغولدن غلوب في كانون الثاني/ يناير الماضي قبل أن تعود وتفوز الأحد الماضي بجائزة نقاد السينما.

وأشارت الى أن انشغالها بتصوير المقاطع السينمائية ساعدها على تجاوز تجربتها المرة مع «أمريكان أيدول».

وقالت «تصبح لديك شخصية. لقد عرفت كيفية تجاوز المرحلة ومتابعة حياتي».

مقاضاة مغنية أوبرا شهيرة بسبب سروال داخلي

■ لندن ـ يو بي آي: قالت مغنية الأوبرا الشهيرة الدام كيري تي كاناوا أمام محكمة أسترالية ان مشاهدة سروال داخلي يرمى على المسرح جعلها تلغي ثلاث حفلات موسيقية كان من المقرر أن تحييها. وتواجه تي كاناوا دعوى قضائية أمام محكمة نيو ساوث ويلز يطالب فيها المدعي وهو أحد منظمي الحفلات المعروفين بالحصول على مبلغ مليوني دولار كتعويض عن الخسائر التي لحقت به جراء الغاء مغنية الأوبرا ثلاث حفلات كان من المقرر أن تقيمها بالاشتراك مع النجم الأسترالي جون فارنهام في العام 2005.

وقالت تي كاناوا أمام المحكمة العليا في نيو ساوث ويلز ان مشاهدتها لمقاطع من فيلم فيديو يظهر فيها فارنهام وهو يرفع سروالاً داخلياً رمي على المسرح ويرفعه عالياً «كجائزة» أثار اضطرابها.

غير أن المغنية الشهيرة أصرت انها لا تزال تحترم فارنهام. وذكرت هيئة الاذاعة البريطانية أن شركة «ليدينغ أدج ايفنتس» تقاضي الدام المولودة في نيوزيلاند والبالغة من العمر 62 عاماً ومدير أعمالها السابق نيك غرايس بتهمة نقض بنود الاتفاق الموقع بينهما.

العضلات لا الدهون هي التي تقوي العظام

■ نيويورك ـ رويترز: تكهن باحثون بأن الدهون الزائدة والتي تضع ثقلا اكبر على العظام ربما تساعد على بناء عظام اقوى لدى الشباب. لكن دراسة حديثة وجدت أن هذه الفكرة غير صحيحة. وللتحقق من دقة هذا «المثال التقليدي» استخدم الدكتور فيسنت جيلاسانز وزملاء له بمستشفى لوس انجليس للاطفال تقنية تسمى قياس درجة الامتصاص باستخدام اشعة اكس (الاشعة السينية) وكذلك الفحص بالاشعة المقطعية للقياس بدقة الدهون بالجسم وكتلة الجسم النحيل وكثافة العظام والمحتوى المعدني لدى 300 شخص تراوحت اعمارهم بين 13 و21 عاما. وكان نصفهم من الاناث والنصف الاخر من الذكور.

ووجد الباحثون ان هناك صلة قوية بين كتلة الجسم النحيل وحجم العظام وكثافتها. لكن حجم كتلة الدهون فليس لها علاقة بمقاييس قوة العظام واما كانت سلبية وهذا يعني انه كلما زادت كتلة الدهون قلت كثافة العظام.

20 % من الاستراليين يدمنون المحمول

■ سيدني ـ يو بي آي: ذكرت دراسة أعدتها جامعة كوينزلاند للتكنولوجيا أن الاستراليين يستخدمون هواتفهم المحمولة لحوالي الساعة يومياً.

وقالت ديانا جيمس الاختصاصية في علم سلوك الزبائن وعاداتهم ان الدراسة التي شملت حوالي 2500 شخصاً أظهرت بأن واحداً من بين 5 استراليين مدمن على استخدام الهاتف المحمول.

وذكر 22 % ممن شملتهم الدراسة انهم يستخدمون المحمول بشكل كبير جداً أو مفرط، فيما قال 8 % منهم ان اعتمادهم على وسيلة الاتصال هذه تكلفهم أكثر من 385 دولار شهرياً.

وأضافت جايمس «يقضي الاسترالي حوالي الساعة يومياً على الهاتف الخليوي من ضمنها 35 ثانية على بعث رسائل نصية»، موضحة أنه في حين أن معظم المكالمات الهاتفية تكون عادة مع افراد العائلة والاصدقاء فان 11 % يخصص للعمل.

هواء المدن الملوث مضر بالقلب

■ سياتيل ـ يو بي آي: قال باحثون ان هواء المدن الملوث مضر بالصحة وبالقلب خصوصاً أكثر مما كان يتصور سابقاً.

وذكرت الدراسة التي نشرت في العدد الأخير من «نيو انغلاند جورنال أوف مديسين» وشملت 58 ألف امرأة تجاوزن سن الحيض ان نسبة الاصابة بأمراض القلب بين اللواتي عشن في مناطق ملوثة أكثر بـ150 % من نظيراتهن اللواتي يقمن في مناطق أقل تلوثاً وأضافت ان التلوث البيئي الناتج عن دخان المصانع وعوادم السيارات والتدخين بنوعيه العادي والسلبي يفاقم في حدة أمراض التنفس والقلب.

ودعا المسؤول في وكالة حماية البيئة في سياتيل روجيني هندرسون الى اصدار قوانين لحماية البيئة والتشدد في تطبيقها لكنه قال انه «من المبكر القول» ما اذا كانت الوكالة ستتبنى ما جاء في الدراسة قبل الاطلاع عليها واتخاذ ما تراه مناسباً في شأنها.

احوال الناس

● الشيخ **محمد بن راشد آل مكتوم** رئيس وزراء الامارات حاكم دبي استقبل منتخب بلاده المتوج بلقب «خليجي 18» لكرة القدم للمرة الاولى.

وتقديرا لجهود اللاعبين وانجازهم قدم فيلا لكل لاعب، كما كافأ اتحاد اللعبة بمضاعفة ميزانيته السنوية.

● وفد من المؤتمر الإسلامي بفرنسا برئاسة الدكتور **محمد البشاري** سيزور مصر يوم الثلاثاء القادم لمقابلة شيخ الأزهر ووزير الأوقاف ومفتي الجمهورية لبحث إشراف المؤسسات الدينية المصرية على معهد ابن سينا للدراسات الإسلامية، الذي افتتح مؤخرا بمدينة ليل شمال فرنسا.

● **محمد الغنوشي** رئيس الوزراء التونسي اجتمع الجمعة مع **عبد القادر مساهل** الوزير الجزائري المكلف بالشؤون المغاربية والافريقية الذي يزور تونس حيث ترأس، وفد بلاده في اجتماعات الدورة الحادية عشرة للجنة المتابعة التونسية الجزائرية.

● نائب الرئيس الأمريكي السابق **آل غور** ورئيس اللجنة الأولمبية الدولية **جاك روغ** ورد اسميهما على لائحة «أبطال الأرض» للعام 2007 التي أعلنتها منظمة الأمم المتحدة.

كما منحت المنظمة الدولية جوائز تكريمية إلى **شريف رحماني** وزير البيئة الجزائري و**مارينا سيلفا** وزيرة البيئة البرازيلية والأمير الأردني **الحسن بن طلال**.

● الفنان المصري **هشام سليم** سيشارك **صلاح السعدني** بطولة مسلسل تلفزيوني جديد بعنوان «المصراوية» من تأليف **أسامة أنور عكاشة**.

● المكتب السياحي المصري بباريس سيقيم الأسبوع المقبل أمسية فنية ضخمة تحييها احدى فرق التراث المصرية، وسيحضرها **زهير جرانة** وزير السياحة.

● **محمد سعيد عفيفي** الفنان المسرحي المغربي ألقى بالدار البيضاء أول درس حول فنون المسرح في إطار الدورة الثالثة من الجامعات الشعبية التي تنظمها وزارة الشباب المغربية.

● المخرج السوري **حاتم علي** سيبدأ اليوم السبت تصوير المسلسل التلفزيوني الجديد «الملك فاروق» بطولة الفنان السوري **تيم حسن** والمصريين **نبيل الحلفاوي** و**عزت أبو عوف**.

● الدكتور **فتح الله ولعلو** وزير المالية المغربي ترأس حفلا نظمته صحيفة «الايكونوميست» تم خلاله تسليم الطبعة الثانية لـ«جائزة ليكونومسيت» في مجال الاقتصاد والتدبير والتي فازت بها **ياسمينة بنيس بناني** و**عمر رقيب** و**سمير شملال** و**عصام اليوسفي** و**ياسير بنطاهر**.

● المطرب المصري **مصطفى قمر** سيبدأ في شهر آذار (مارس) المقبل تصوير الفيلم السينمائي «التوأم» من تأليف **أحمد البيه** وإخراج **سعد هنداوي**.

● مسرح محمد الخامس يحتضن معرضا لعشرة مصورين مغاربة وإسبان يشاركون بمائة لوحة، تحت عنوان «رؤى عن المغرب» ينظمه كل من معهد ثيربانتيس والشركة الوطنية للنشاط الثقافي الخارجي (اسبانيا) ومسرح محمد الخامس.

كلام النجوم

الحمل: 21 اذار ـ 20 نيسان
كن صبورا وهادئا ولا تستبق الامور، فبفضل جهودك تحصل على منصب مهم.

الثور: 21 نيسان 20 ايار
ستجد نفسك مضطرا الى اتخاذ قرار حاسم يتعلق بحياتك المهنية.

الجوزاء: 21 ايار ـ 21 حزيران
ازمة نفسية عابرة بسبب مشكلة عاطفية فكن اكثر مرونة لكي تتخطى الازمة.

السرطان: 22 حزيران ـ 22 تموز
منصب مهني مهم يمنحك مزيدا من الثقة بالنفس علاقتك بمن تحب ممتازة.

الأسد: 23 تموز ـ 22 آب
عمل صغير قد يعود عليك بفائدة كبيرة، حافظ على اسرارك.

العذراء: 23 آب ـ 22 ايلول
لا جديد على صعيد حياتك المهنية فلماذا تعيش بالاحلام.

الميزان: 23 ايلول ـ 22 تشرين اول
مشاريع ستعرض عليك غير ناجحة، ادرس امكانياتك قبل التورط.

العقرب: 23 تشرين اول 22 تشرين ثاني
اهتم بالشريك اكثر ودعك من الآخرين خبر سار في طريقه اليك.

القوس: 23 تشرين ثاني ـ 21 كانون اول
شخص يريد لك الخير فكن اكثر اهتماما بالآخرين.

الجدي: 22 كانون اول ـ 19 كانون ثاني
مال في طريقه اليك حيث طال انتظاره ولكن الصبر جميل.

الدلو: 20 كانون ثاني ـ 18 شباط
امامك فرصة جيدة فكن اكثر جرأة في اتخاذ القرار واحسم الامور.

الحوت: 19 شباط ـ 20 اذار
ظروف العمل صعبة ولكن عليك ان تبذل جهدك.